فقهية . ومما يمتاز به المجمع الفقهي التابع للرابطة الموقرة انه يضم من الأعضاء من يجمعون بين العلوم الإسلامية والإلمام المباشر بالأنظمة المالية السائدة في العصر الحديث . فالذين يتحدثون في ترقيع الأطراف وزرع الأعضاء الإنسانية هم العلماء والأطباء وخبراء العملية الجراحية ويتصفون إلى ذلك بدراسة واسعة في الفقه والفتاوى .

لما كان العلم في بلادنا خصوصا ينشطر إلى شطرين هما : العلم بالقضايا الدينية وأحكامها وحملتها علماء الإسلام ، والإلمام بالقضايا الجديدة حتى يقطعوا الرأي ويبتّوا الحكم في المعلومات التي تحصل لهم من هؤلآء العقلاء .

إن دار الشريعة وضعت نصب عينيها تشكيل هيئة تشتمل على رجال يحملون ذوق البحث والتحقيق إلى جانب النظرة الثاقبة في المذاهب الفقهية الأخرى ويستطيعون دراسة مباشرة للمسائل الجديدة في لغات لا ينطقون بها .

ولا يوجد نظير لما قدمه الشيخ محمد شهاب الدين الندوي من أعمال البحث والتحقيق في قضايا العلوم الطبعية بحيث إنه أخذ التحقيقات العصرية من مراجعها الأصلية ولا يصعب عليه كثيرا البحث عن جزئية دقيقة لأنه من حملة العلوم الدينية والنظرة الثاقبة . وعسى أن تجمع دار الشريعة بين هذه الأوصاف التي هيخصيصة الشيخ محمد شهاب الدين الندوي .

إن هذه المناسبة ليست مناسبة افتخار واعتزازا بل تستوجب منا الدعاء والتضرع والابتهال . ندعو الله سبحانه أن يتقبل هذه الجهود الخالصة وأن يبارك في هذه الفاتحة الميمونة . وإلى الله ترجع الأمور .

• • • •

أهم مذاهب الحداثة وحركاتها

سعادة الدكتور عدنان علي رضا النحوي
عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

١ - الحركة الرمزية :

تمثل الحركة الرمزية محاولة الهروب من الواقع بعد الشعور بالفشل ، وبعد تزاحم الغموض والإبهام . إنها تمثل محاولة الاختفاء وراء رمز يخفى الأفكار والثورة وأهم رجالها : (شارل بودلير - ١٨٢١م-١٨٦٧م) و (ستيفان مالدرميه - ١٨٤٢م-١٨٩٨م) و (بول فاليدي - ١٨٧١م - ١٩٤٥م) كلهم في فرنسا ، و (إدجار ألن بو - ١٨٠٩م-١٨٩٤م) في أمريكا . وسميت الحركة أولا بالانحطاطية لشدة هبوط رجالها في المخدرات والفاحشة والخمر ، وحمل الدرب فيها صورة صريحة وقحة عن الجنس ، وبعضهم يعتبر الحداثة نشأت مع بودلير .

٢ - الحركة الانطباعية :

إنها تمثل محاولة تسجيل الانطباع الموحد للمعنى أو المزاج أو الضوء أو اللون ، حاول الانطباعيون إعطاء الألوان الطبيعية التي تذيل نفس الحيوية المستمرة للألوان الصناعية ، من رجالها : (وايلد) في قصيدته "سيمقونية باللون الأصفر" و " ماكس دوثندي " الألماني في مجموعته الشعرية : " فوق البنفسجية " وحاولت الانطباعية التركيز على استخدام الألوان ، وشنت حربا واسعة على اللغة في محاولات عديدة . وانطباعية (مونبه) و (رلكه) هي انطباعية الهروب من الصدمة التي تحدثها المشاعر ، أما انطباعية (هولز) فهي انطباعية المشاعر نفسها ، وحملت الحركة الانطباعية بذور الحركة المستقبلية والحركة التعبيرية .

٣ - الحركة المستقبلية في إيطاليا :

ظهرت إعلان البيان المستقبلي في ميلانو يعلنه (فليبوتوماسو مارينيتي) سنة ١٩٠٥م ثم توالت البيانات تعلن عن الحركة المستقبلية وخصائصها وسياستها وأهدافها .. أهم خصائص هذه الحركة أن رجالها وعدوا بابتكار ما أسموه « الخيال اللاسلكي » الذي يستطيع أن يؤلف عناصر الكون ويحتويها في نظرة خاطفة واحدة . لقد كان عنوان مقدمة الكتاب الذي وضعه (مارينيتي) وأسماه : زانك تم تم . كان عنوان المقدمة : تحطيم النحو - خيال لاسلكي - كلمات حرة . فكانت الحركة المستقبلية في إيطاليا تمثل اندفاعًا مهووسا في محاربة اللغة ، والثورة الجنونية ، والضياع الممتد ، وفي هذه المتاهة « المستقبلية » ابتكر (كوستاف كان) تعبير الشعر الحر . فأعجب به مارينيتي ليكون هذا التعبير منطلقًا واسعًا لتحطيم اللغة كما يريد المستقبليون . فلقد قالوا كلمتهم المشهورة : « بعد الشعر الحر أصبح عندنا كلمات حرة » . ويقصدون بالكلمات الحرة الانفلات من المعاني والقواعد ، وتحويلها إلى حركات صوتية غامضة مبهمة هستيرية . ويعطي مارينيتي في كتابه مثلا وينص على هذه المقاطع : « سي سي سي سي سي سي سي » ولقد نقل حداثيو بلادنا هذه الهستيرية نقلا حرفيا . فوضع شاعر حداثي عندنا قصيدة مطلعها : « سيتزن سيتزن سيتزن » وأطلق مارينيتي الكلمات الحرة في مقاطع صوتية لتمثل في رايه غارة تعبئة جنود .. إلخ . واستخدم الرموز الرياضية بدلا من الكلمات . فليضف عربة يتغير فيها ناقل الحركة وضع : + - + - + - × . ولقد نقل كمال أبوديب هذا الأسلوب في دراساته النقدية فاستخدم بعض هذه المعادلات . واستخدم الأحرف الإنجليزية . واستخدم جداول ورموزًا وبيانات متعددة .

في إحدى حفلات مارينيتي الشعرية . أوعز مارينيتي لأحد أصدقائه

أن يختبئ في زاوية أركان الصالة بحيث لا يراه أحد . ولما بدأ مارينيتي بإلقاء شعره . وهو عبارة عن مقاطع صوتية . قرع صاحبه المختبئ الطبل حتى حسب الناس أن هذا الضجيج هو ما صوت مارينيتي .

وكان من أهم ما يميز الحركة المستقبلية الإطالية هو النزعة القومية العنيفة . فبعثت الفاشستية الإطالية بكل قوتها والتحمت معها . وأمضى مارينيتي واحدًا وعشرين يوما مع موسيليني في السجن . فلا عجب أن أعلنت الحركة المستقبلية في أحد بياناتها : « يجب أن تسيطر كلمة إيطاليا على كلمة حرية » وأخرج مارينيتي كتابًا سنة ١٩١٥م عنوانه : « الحرب هي العلاج الوحيد للعالم » وأصدر (أبو لينز) سنة ١٩١٢م كتابه : « العداء المستقبلي للتراث » ليكشف عن نهج أساسي في الحداثة وهو الثورة العامة على كل قديم .

٤ - الحركة المستقبلية في روسيا :

لقد كان (فلاديمير مايا كوفسكي) رأس الحركة المستقبلية في الأدب الروسي . أعطى نفسه لقب : « زرادشت زماننا الصخاب » ليثبت الاتجاه الإلحادي في الحركة المستقبلية في روسيا . والتقت هذه الحركة مع أختها في إيطاليا في قضية تجريد الكلمات والاعتماد على الأصوات والمقاطع . كما سبق أن عرضنا مع الحركة المستقبلية الإيطالية .

وتكونت في الحركة المستقبلية في روسيا المدرسة الشكلانية لتساهم في محاربة اللغة وأشكالها القديمة . ونشأت حركات أخرى تثور على الماضي تحمل الحماسة « النتشية » وفي سنة ١٩١٢م أصدر (مايا كوفسكي) . و (خليبنكوف) . و (كروجونيج) . و (ديفيدبرليوك) بيانهم الذي أسموه « صفعة في وجه الذوق العام » وجعلت الحركة المستقبلية

محور قضيتها هو السعي إلى غسل الكلمات وتطهيرها من طلاء التراث الأدنى ، هذه الكلمات نسمعها من حداثيي بلادنا ينقلونها نقلا ، فيقول الدكتور الغذامي في كتابه الخطيئة والتكفير ما نصّه : « ... إن الشاعر يحرر الكلمة من معانيها و مما علق بها من غبار السنين فيطهرها ويغسلها .. » (ص/٢٦٩) .

ويأتي (شاعر من شعرائهم) ليقول شعرا تهريجيًا أسماه (الكونكريتي FERROCONCRETE) ويقرأ ويمثل بعدة طرق وكل طريقة تدعى أنها تعطي معنى جديدا ، ويعطي (خليبنكوف) في قصيدته : « تعويذة عن طريق الضحك » سنة ١٩١٠م أسلوبا لتحرير الكلمة من كل قواعدها ومعانيها بعيدا عن القواميس ، ويأخذ أدونيس كاهن الحداثة الأول في العالم العربي هذا الفكر التهريجي ويعيده علينا كأنه هو المفكر القائل المعتزّ بهذا الانحطاط ، كما سيرد معنا بعد قليل الشعر العربي : ص/١٢٨ : « وفي الإبداع الشعري يصل غنى هذه اللغة إلى أوجه وتصبح غابة شاسعة كثيفة من الإيقاع والإيحاء والتوهج لاحد لأبعادها ، فتفرغ الكلمات من معانيها الموضوعة ، الموجودة مسبقا في المعاجم أو على الألسنة ، وتتنوع دلالاتها .. » لقد أعلن المستقبليون كراهيتهم للغة التي ورثوها في روسيا ، ثم أراد أدونيس وسائر الحداثيين أن نكره نحن أيضًا اللغة التي ورثناها ، والتي هي مصدر من مصادر قوتنا وعزنا وعز الإنسان على الأرض كلها ، واعتبر « رولان ياكوبسون » الذي يتغنى به كل حداثيي بلادنا ، اعتبر أن الشعر الأحدث هو الشعر الذي دفعته الحركة المستقبلية مثل شعر (خليبنكوف) الهووس ، واتحدت المستقبلية في روسيا مع البلشفية والتحمت معها كفرًا وإلحادًا وفسادًا ،

كما التحمت المستقبلية الإيطالية مع الفاشية في إيطاليا ، ولا عجب في توافق الحداثة مع الفكرة المادية الاشتراكية في العالم الشيوعي ، وتوافقها مع العالم الرأسمالي فميدان التلاقي واسع يشمل محاربة الدين واللغة والقديم كله ، يشمل الجنس ولهيبه ، والمخدرات وجحيمها، والخمر، والجرائم ، والإباحية ، والظلم ، والعدوان ، وقتل القيم التي تبنيها فضائل الإنسان الطاهر عبر الزمن الطويل في رسالة النبوة الممتدة والتي ختمت بمحمد -ﷺ- ، ولا عجب كذلك إذا وجدنا تشابها في بعض انجازات الأدب الشيوعي في روسيا وإنجازات النقاد الجدد في أمريكا .

ولقد ساهم (ياكوبسون) في حقل علوم اللغة ، وساهم النقاد الشكلانيون في بلورة نظرية الإشارات الدال ، وجمع (تسفيتان تودوروف) مقالات الشكلانيين في كتاب أسماه « نظرية الأدب » سنة ١٩٦٥م ، و دشن ليفي شتراوس في كتابه : «الانتروبولوجيا البنيوية » علم الإشارات الدالة ، فأدى تقارب علوم اللغة وعلم الأشارات الدالة إلى جمع شرور الحداثة وإلحادها في بعث « فن الشعر البنيوي » في الاتحاد السوفياتي مهد الكفر الصريح ، لينقله حداثيو بلادنا إلينا فنا جديدا ومغلفًا بزخارف الفكر والتطور .

لقد كان مصير عدد كبير من هؤلآء الكتاب مصيرًا مفجعًا ، فقد انتحر (مايا كوتسكي) ، ومات (خليبنكوف) ، و وجد كرجوينج نفسه ضائعا وحيدا يغمره البؤس والعذاب ، ليكونوا آية لمن يعتبر ، وانتهت الحركة المستقبلية وأعلنت إفلاسها ، ولكن بذور الفتنة ما زالت تعمل لتنهض حركة جديدة تحت راية جديدة .

٥- **الحركة التعبيرية** : استعمل هذا المصطلح لأول مرة للتعريف عن

ثماني لوحات عرضها الرسام الهاوي (جوليان أوجست أورفه) في باريس سنة ١٩٠١م ، وفي ألمانيا استخدم كذلك للتعريف ببعض الرسامين الفرنسيين الشباب أمثال : ليكاسو و (بارك) ، و (دوفي) ، ولكن (ڤيلهم ڤورنكير) حجة التاريخ الفني ، هو الذي أعطى الصفة الشرعية لهذا المصطلح وهو يشير إلى « التوليفيين التعبيريين » الباريسيين أمثال : (سيزان) و (ڤان كوخ) ومع نهاية سنة ١٩١١م أصبح هذا المصطلح يطلق على كل رسام ارتد عن الانطباعية .

لقد تولت الحركة التعبيرية أهداف الحداثة الرئيسية ، فقد عبر عن ذلك « رودولف كرتز » وهو يتحدث عن مجلة أصدرها : « إن المجلة جاءت لتقوض المجتمع القائم » .

لقد كان هناك أسباب حقيقية لهذه النقمة على المجتمع ، ولكن لم يكن هنالك نور يدل على السبيل القويمة لبناء الحياة النظيفة ، فاجتمعت الأهواء وردود الفعل والصدمات النفسية لتضع أمام الناس حلاً واحدًا ، للإصلاح ، اجتمعت عليه كل الحركات المتناقضة ، هذا الحل هو الهدم والتدمير والتحطيم ، لقد دعا التعبيريون إلى تجريد الأشياء اليومية وتفريغها من محتواها ومن سياقها الطبيعي ، ثم تجميعها من جديد لخلق آفاق « روحانية .. » تعابير غائمة ضبابية ، لا يدرون هم ما هي الروح وما هي الروحانية ، ولكنهم يلقونها لفظة يأملون أن تخرجهم من جحيم الواقع ، الذي يرون من خلاله الماضي كله والمستقبل كله ، وحملوا هجومهم كذلك على اللغة وهم يدعون أنها أصبحت وسيلة وأداة في خدمة أغراض معينة ، فقد أصبحت عاجزة عن القيام بالمهام التعبيرية ، وعاجزة عن أن تكون إشارات دالة ونادوا بأن الفن مرتبط بالسياسة عبر

مضامين إنسانية ، دون أن يحددوا ما هي المضامين الإنسانية ، وتحولت الحركة التعبيرية إلى مذاهب متعددة يدور بينها صراع حاد وهي تنتقل من مدينة لأخرى : برلين ، ميونخ ، براغ ، زيوريخ ، وأدى الخلاف إلى تفجير الحركة التعبيرية من داخلها دون أن يفجروا الواقع كما كانوا يريدون ، وانتهت الحركة التعبيرية لتخلفها حركة جديدة .

٦ – الحركة الدادائية :

ظهرت في ألمانيا رد فعل للحركة التعبيرية ، وحيث إن التعبيريين كانوا يريدون تحطيم الواقع ، فالدادائيون أرادوا أن يعيشوا الواقع بكل انحطاطه ، أخذت هذا الاسم من رائدها الذي أطلق على نفسه اسم (دادا) .

وفساده أسسوا النادي الداداني في برلين سنة ١٩١٨م ليحاربوا من خلاله الحركة التعبيرية ، واتجهوا في فكرهم نحو اليسار كما كان التعبيريون ، ولكن نحو يسار يختلف عهد يسار أولئك ، لقد أبرزت الحرب العالمية الأولى هذه الحركة ، وبعد أن بدأ نشاطها شعرت بعجزها عن فهم الواقع وقالوا إن حواسنا تمدنا بمعلومات مضللة ، وأنه لم يعد لذلك من فائدة في كتابة التجربة ، فلابد من الاستسلام النهائي دون حدود ، وكأن الحركة الدادائية تمثل فشل الحداثة كلها ، هزيمتها في الحياة ، استسلامها ، أمام صدمات متتالية ، وعجز متتال ، وفشل متتال ، لم يكونوا يدركون أنهم يحاربون سننا ثابتة لله ، فقد كفروا بالله ، وبسننه ، وبشرائعه ، فساروا في هذه المتاهة المظلة الطويلة لتقودهم رغم انوفهم إلى الاستسلام .

لقد مقتوا الحضارة اللاإنسانية التي عاشوها ، ومقتوا مجتمعاتها

كلها ، وبلغ المقت ذروته حين أطلقت المجلة الباريسية (التراتور) سنة ١٩١٩م ، سؤالها الكبير « لماذا نكتب ؟ » ثم أتبعته بسؤال أشد بأسا : « لمن نكتب ؟ ! » وازدادت الهوة بين الكلمة والواقع ، ولقد امتد اليأس الدادائي في مناطق واسعة من الأرض : نيويورك ، برشلونة ، زيوريخ ، برلين ، هانوفر ، كولون ، باريس ، لتمثل صورة مفزعة للإنسان في القرن العشرين ، لقد أخذت الحركة الدادائية طرفًا من كل حركة حداثية سابقة ، وبرز من الدادائيين (تزارا) ليعلن بياناتهم بلغة محطمة غير مترابطة ، وكان يرى تزارا أن على الحركة الدادائية أن تبقى شاردة عن التدفق ، إنها تموت إذا اتجهت إلى الجد والوضوح والاستقامة ، اعتراف واضح جاد مستقيم ، اعتراف واضح بالتهريج الذي يحملونه ويدعون إليه . فنقل تزارا الدادائية إلى باريس وساعده هناك (أندريه برايتون) (لويس أراغون) و (فيليب سوبو) وكذلك (جاك فوشيه) الذي كان يعتبر أنه لا جدوى من أي شئ في الحياة ، وحاول الهروب من كل شئ ، ومات في ظروف غامضة سنة ١٩١٩م .

٧- الحركة السريالية :

من فرنسا ، في قلب الدادائية ، بدأت الحركة السريالية بالنمو والظهور على شكل حركة تسعى للتخلص من كل ما يكبح حرية التعبير ، فاعتمدوا سياسة إثارة الفضائح واعتمدوا التنويم المغناطيسي ، وتحليل الأحلام ، وإعلاء شأن الجنس والحب الذي يقوم عليه ، والاهتمام باللحظات الثرية التي يوفرها الوجود ، لحظات الضياع والغيبوبة والحذر .

يعتبر السرياليون أن العقل قادر على إمداد نفسه بأسباب الحياة أما

حالة الفوضى الشاملة ، أو حالة اللاتكون ، وهو وحده القادر على جمع شظايا العالم وربطها ، واستغلال القوى التي لا يملكها إلا الأطفال والشعوب البدائية والمجانين ، وغطوا بنشاطهم ميدان الأدب والرسم ، وحاولوا إيجاد لغة جديدة للناس ، يقول الشاعر السريالي المكسيكي (أوكتافيوباز) : « لا تعتزم السريالية صياغة القصائد بقدر ما تعتزم تحويل الناس إلى قصائد حية » ، ثم اختلف السرياليون إلى مذاهب متصارعة ، فالتف أناس حول تهريج (تزارا) ، والتف آخرون حول هوس (برايتون) ، يظهرون أمام الناس بملابس هستيرية مثل قطاع الطرق أو السحرة أو المهرطقين ، وامتدت الحركة السريالية بانضباط ونظام رسمي بين : فرنسا ، وانكلترا ، واسكندنافيا ، وبلجيكا وتشيكوا سلواكيا ويوغو سلافيا ، وهولندا واليابان وجزر الكنارى وجميع أجزاء أمريكا الجنوبية ، وما أكثر المهووسين في العالم ! ولقد مارست الحركة السريالية معظم الفنون ما عدا الموسيقي .

وانتهت حركات الحداثة واحدة تلو الأخرى ، ولكنها كلها تركت آثار شرورها في حياة الإنسان على الأرض ، أما في بلادنا العربية والإسلامية فقد انسلت الحداثة بكل شرورها ومفاسدها خلال عشرات السنين ، تحت ستار من الرقى والتقدم ، والعلم والحضارة ، والحرية والعدالة ، والديمقراطية والاشتراكية ، والقومية والعصبية ، جميع شعاراتها كانت شعارات جاهلية ولم ترفع شعار الحداثة دائمًا ، ولكنها تبنت أهدافها وسياستها ، وفي بعض البلاد العربية كان يصعب عليها أن ترفع شعار الاشتراكية وما أشبهه فرفعت شعار الحداثة واضحًا جليًا ، شعارًا يمثل حركة أدبية في مجتمع ، حين يتعذر أن ترفع شعار الشيوعية أو الاشتراكية .

•• • ••